مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد العاشر : ص ص 321-336 ISSN:2709-2097
05/05/2021

تداخل العلوم اللغوية فيما بينـها وبين غيرها من العلوم الشرعية

Interference of language sciences among them ¸ and between the Sharia Sciences .

إعداد:

د.محمد رضا عيَّاض، أستاذ محاضر " أ"

Mohammed redha aiad ¸ Professor Lecturer " A "

Aiadmedredha11@gmail.com

د.أحمد التجاني سي كبير، أستاذ محاضر " أ"

Ahmed Tidjani Sikebir ¸ Professor Lecturer " A "

Ahmedtidjani sikebir@gmail.com

الملخص:

حاولت هذه الدراسة بيان علاقة علوم اللغة بعضها مع بعض، وخلصت في الأخير إلى أنَّ علوم اللغة كانت من قبلُ متداخلة بعضها مع بعض متشابكة فيما بينها ؛ ذلك أنَّ هناك اتِّصالا وثيقا بين علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وغيرها، ولمَّا دعت الضرورة وانفصلت تلك العلوم، فكان أول ما انفصل منها هو علم النحو، تلاه علم الصرف، ثم بدأت العلوم الأخرى في الاستقلال مع مرور السنين.

Summary : This study tried to explain the relationship of language sciences with each other, and concluded in the end that the language sciences were previously intertwined with each other. This is because there is a close connection between phonology, morphology, grammar, and others, and when necessity arose and those sciences were separated, the first thing that separated from them was grammar, followed by morphology, and then other sciences began to become independent with the passage of years.

Key words: relationship, language sciences, grammar, Sharia Sciences.

Sommaire : Cette étude a tenté d'expliquer la relation des sciences linguistiques les unes avec les autres, et a conclu à la fin que les sciences du langage étaient auparavant imbriquées les unes avec les autres. C'est parce qu'il y a un lien étroit entre la phonologie, la morphologie, la grammaire et d'autres, et quand la nécessité est apparue et que ces sciences ont été séparées, la première chose qui s'en est séparée était la grammaire, suivie de la morphologie, puis d'autres sciences ont commencé à devenir indépendantes avec le passage des années, prenant toutes les connaissances. Une partie de la langue comme sujet.

Mots clés: linguistique, chevauchement, phonologie, grammaire .

1. **إشكالية المقال:**

انطلق المقال من إشكال مفاده:

هل استمرار العلوم اللغوية فيما بينها مدة زمنية طويلة منفكا ومتميزا ومستقلا بعضها عن بعض وظهور علماء ومؤلفات وربما مدارس لكل علم منها يمنع أن يكون بينها تكامل وتداخل ؟ ومن باب أولى يكون طرح هذا الإشكال فيما بينها وبين ما يباينها من العلوم الشرعية ؟

2. **منهجية البحث:**

ابتدأ المقال بالكلام عن سبب نشأة العلوم، وهو ظهور الإسلام، وانتشار اللحن حتى في تلاوة القرآن الكريم، ثم الكلام عن تداخل العلوم المتباينة، كاللغة، والفقه، والبلاغة والاستدلال على ذلك بأقوال بعض علماء اللغة، كما تعرَّض إلى بعض علماء اللغة القراء كأبي عمرو، والكسائي، الذين تكلَّموا في التفسير والفقه، وهم لغويون مشهورون، كما تعرَّض المقال إلى استقلال العلوم فيما بَعْدُ، كما تناول المقال قضية التأثير والتأثُّر بين العلوم العربية وغيرها من علوم الأمم الأخرى، كعلم الأصوات، والمعاجم، والنحو .

وعلى هذا فقد اعتمد البحث على المناهج: الوصفي، والتاريخي، والمقارن متبوعة بأداة التحليل .

3. **أهمية البحث وأهدافه .**

تكمن أهمية البحث وأهدافه في أنَّه يبيِّن احتياج العلوم بعضها إلى بعض، وتكاملها فيما بينها، كما كان الشأن في أول نشأتها، حيث لم يكن هناك فصل بينها ولا تمييز فهي بمجموعها تخدم الغرض وتؤدِّي إلى المغزى المطلوب ؛ فقد تحتاج اللغة إلى الدين وقد تتوقف أحكام الدين أو الفقه على بيان الأحكام اللغوية، وذلك سواء في العبادات والمعاملات، كما نجد تشابها وتداخلا بين كثير من أمور عقلية شرعية، كالقياس والعلة الفقهيين، وما إلى ذلك .

5. **مكان إجراء البحث وفترة تنفيذه .**

المقال لا يُعنى بالمكان ولا بفترة التنفيذ ؛ لأنَّه متعلق بأفكار نظرية واستنتاجات عقلية محضة متعلقة بفترة تاريخية، وليس له علاقة بأعمال تطبيقية في الواقع .

تمهيد:

احتاجت العلوم بعضها إلى بعض احتياج الفروع إلى الأصول، واحتياج الأحكام إلى الأدلة والمرجعيات، واحتياج النظريات إلى التطبيق، فكان أن كمَّل بعضها بعضا، وحدث بينها تأثُّر وتأثير .

الاختلاف الواقع بين هذه العلوم التي من شأنها ذلك قد يكون اختلاف تنوع أو اختلاف تباين، ونعني باختلاف التنوع أنَّ هذه العلوم مجمعها مجال مشترك واحد وذلك كجمال اللغة الذي جمع النحو،

والصرف، والصوتيات، والبلاغة، والعروض وغيرها، وباختلاف التباين أنَّ بعض العلوم يختلف مجالها عن بعضها الآخر، وذلك كالتباين الذي بين علم اللغة وعلوم الشرع، وعلوم الأدب وعلم الاجتماع مثلا

الموضوع:

ممَّا لا شك فيه أنَّ لمجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم أثرا واضحا في نشأة العلوم الشرعية واللغوية على السواء، فاقتضى هذا الدين الحنيف معرفة أحكام الحلال والحرام من العبادات والمعاملات، فبدأ التفكير في علم يتكفَّل بذلك، ويدعو إلى الالتزام والتقيد بأوامر الشارع ونواهيه، ألا وهو علم الفقه .

اقتضت تلاوة القرآن الكريم ـ وهي المعتد بها ـ الحفاظ على سلامة لغتها العربية كما أنزلت من لدن حكيم خبير، فقال في كتابه العزيز:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) ﴾[1]، وقد مثَّل الخوف من اللحن أن يتطرَّق إلى لغة القرآن الكريم الداعي الأبرز إلى التفكير النحوي عموما، " وقصة الأعرابي الذي سمع قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 3﴾ [2] قرأ رسولِه بالجر، فقال الأعرابي: إن كان الله بريئاً من رسولِه فأنا أبرأُ منه وسمع سيِّدُنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ذلك، فدعا الأعرابي وأخبره ذلك فأنكر عمر هذا اللحن، ومن حينها أخبر عمر ألا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة"[3]، هذه القصة وغيرها من القصص التي تحكي اللحن في تلاوة القرآن أبلغ دليل على ذلك .

من القصص كذلك ما وقع من الحجاج نفسه، وهو من هو في البلاغة والبيان، فذكروا أنَّه يسأل يحيى بن يعمر الليثي: " أتسمعني ألحن على المنبر ؟ فقال يحيى: الأمير أفصح الناس، إلا أنَّه لم يكن يروي الشعر، قال: أتسمعني ألحن حرفا ؟ قال: نعم، في آي القرآن قال: فذاك أشنع، وما هو؟ قال تقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا

---

[1] (الشعراء،الآيات:192-195.)

[2] (التوبة،الآية:03.)

[3] ينظر: (في أصول النحو،سعيد الأفغاني،ص:7-8.)

يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ 24 ﴾ [4] تقرؤها: أَحَبُّ، بالرفع، فأنف الحجاج أن يطَّلع له رجل على لحن فبعث به إلى خرسان.[5]

الملاحظ في هذه القصة وغيرها استشراء ظاهرة اللحن، حتى أنَّها وصلت إلى خاصة الخاصة من المتكلمين، والأمراء، والخلفاء، سواء أوقعوا فيها هم أنفسهم أم وصلت إليهم وسمعوا بها عند عامتهم، فأصبحت قضية تستحق الاهتمام بها والتصدي لها، وليس ذلك إلا بالتفكير فيها تفكيرا يضمن سلامة هذه اللغة عموما، ولغة القرآن خصوصا .

ومنهم من ينسب هذه القصة (رسوله) إلى أبي الأسود الدؤلي، وأنَّ هذا الذي سمع قارئا يقرؤها (رسولِه) بالجر فقال: ما ظننت أمر الناس يصل إلى هنا، واستأذن زياد بن أبيه والي البصرة (45هـ – 53هـ) في أن يضع للناس رسم العربية، وأنَّه اتَّخذ كاتبا فطنا حاذقا من بني عبد القيس وقال له:

إذا رأيتني قد فتحت شفتيَّ بالحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإن ضممت شفتيَّ فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتيَّ فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين وابتدأ أبو الأسود الدؤلي المصحف حتى أتى على آخره، بينما كان الكاتب يضع النقاط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كُتبت به الآيات .[6]

كذلك قصة القارئ الذي قرأ على الأعمش قول الله تعالى:﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ25﴾[7]، فقال الأعمش: " لِمَنْ حَوْلَهُ "، فقال: أليس أخبرتني أنَّ " من " تجر ما بعدها .[8]

بالعمل نفسه أو ما يشبهه قام تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وقد كانوا من قراء القرآن الكريم مثل: نصر بن عاصم الليثي، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل وميمون الأقرن، وأنَّ الحجاج في ولايته على العراق أمر نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر بإعجام حروف المصحف ليتميَّز الحروف بعضها عن بعض، وقد كان عمل هؤلاء متضمنا النقطين ؛ نقط الإعراب كما فعل أبو الأسود

---

[4] (التوبة،الآية:24)

[5] ينظر: (في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص:10.)

[6] (المدارس النحوية،شوقي ضيف،ص:16.)

[7] (الشعراء،الآية:25.)

[8] ينظر: (أخبار النحويين،أبو طاهر المقرئ،ص:27-28.)

الدؤلي، وهو ما عرف فيما بعد بحركات الإعراب، ونقط الإعجام الذي يميز الحروف بعضها عن بعض كما فعل نصر أو يحيى .[9]

حين كان القرآن الكريم والخوف من تطرق اللحن إلى ألفاظه، والسعي إلى صون لغته العربية بشتى السبل، حين كان هذا لله باعثا قويا لنشوء الدراسات اللغوية خاصة والعربية عموما، فمن الطبيعي أن تختلط هذه الدراسات وتتداخل فيما بينها ؛ نظرا لذلك الباعث الذي وحَّد بينها، فقد ظهر كثير من العلوم في أوقات متقاربة لأسباب مشتركة فيما بينها، ومنها علم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، والقراءات، واللغة، والصرف، والنحو، والفلسفة وعلم الكلام، والمنطق، وعلم المعاني، وغيرها.[10]

ها هو عالم لغوي من علماء القرن السابع الهجري، وهو"أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي" (ت626هـ) يفصح عن هذا الدافع لنشوء الدراسات اللغوية وغيرها، وهو الخشية على ألفاظ القرآن الكريم خاصة من أن ينالها اللحن فيعظم ذلك على العرب والمسلمين خاصة، والاحتراز عن الخطأ في العربية عموما .

يقول السكاكي: " وشيء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام [11]، أمَّا إذا خضت فيه مهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ من العربية وسلوك جادَّة الصواب فيها اعترض دونك فيه أنواع تلقى لأدناها عرق القربة [12]، لا سِيَّما إذا انضم إلى همتك الشغف بالتلقي لمراد الله تعالى من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

فهناك يستقبلك منها ما لا يبعد أن يرجعك القهقرى ".[13]

أمَّا عن الدراسات اللغوية عموما، وهي اللغة، والصرف، والنحو، فقد اختلطت هي وغيرها من العلوم التي تباينها، كعلوم التفسير، والحديث، والفقه .

---

[9] (المصدر السابق، ص:16-17.)

[10] (الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري،محمد حسين آل ياسين،ص:78.)

[11] (هذا قول عربي تقوله العرب للشيء الذي لا يعسر تناوله ، والثمام نبت معروف في البادية لا يطول ، وتتناوله النعم بسهولة بدون جهد).

[12] (هذا القول مثل قولهم: حتى يشيب الغراب،ويبيض القار للشيء الذي في حصوله شدة ومشقة ، والمعروف أنَّ القربة إذا أعرقت وهي مدهونة بالدباغ كانت ريحها خبيثة منتنة ، ومعنى عرق القربة أن يسيل ماؤها .)

[13] (يُنظر: المصدر السابق، ،ص:79-80.)

من المحاولات المبكرة لهذه الدراسات واختلاطها فيما بينها ما يُنسب لابن عباس رضي الله تعالى عنه من أنَّه كان يعنى بالغريب وبالشعر مستعينا بهما في عمله في تفسيره كتاب الله وعنايته بالغريب من الألفاظ، والاستشهاد عليه من الشعر، كل ذلك يعتبر عملا لغويا خالصا، وأبو الأسود الدؤلي كان أول من عمل له نقط القرآن الكريم، وكان قد تصدَّر للفُتْيَا في الدين في جامع البصرة بالعراق، بالإضافة إلى ثروته اللغوية الهائلة .

كان ثلة من تلامذة أبي الأسود من قراء القرآن الكريم ـ كما أسلفنا ـ وهم: نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر، وعطاء بن أبي الأسود، وعبد الرحمن بن هرمز وميمون الأقرن، وعنبسة الفيل، وكذلك كان الأمر عند تلاميذ أصحاب أبي الأسود، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ) الذي عدَّه أبو الطيب اللغوي من القراء، وله قراءة شاذَّة .[14]

ومنهم عيسى بن عمر (ت149هـ) تلميذ ابن أبي إسحاق، وهو من القرَّاء المعروفين وله أيضا قراءة شاذَّة .[15]

وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) تلميذ ابن أبي إسحاق الذي كان مشهورا بالقراءة وأنَّه من القرَّاء السبعة المتفق على تواتر قراءاتهم .[16]

والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) تلميذ عيسى بن عمر، الذي توجَّه للقراءة وبرع فيها، وذُكر أنَّه شكَّل القرآن بالحركات .[17]

ومنهم علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ) تلميذ الخليل، وهو من القرَّاء السبعة، وله كتاب في القراءات[18] ، ويذكر أنَّه عني بالقراءات عناية شديدة .

كل هؤلاء وغيرهم اتضحت في أعمالهم الدراسات العربية عموما مختلطة فيما بينها متداخلة فيما بينها، اللغوية وغيرها، والمشهور عنهم أنَّهم لغويون نحويون وفي الوقت نفسه هم قرَّاء للذكر الحكيم، ممَّا يبيِّن أنَّ الدراسات الدينية واللغوية نشأت متداخلة غير منفصل بعضها عن بعض، فكان القارئ الفقيه المفسر يؤلِّف أو يتكلم في مسائل العربية عن لغتها ونحوها، وصرفها .

---

[14] (الفهرست،ابن النديم،ص:33،والدراسات اللغوية،ص:80.)

[15](يُنظر: الدراسات اللغوية،ص:81،طبقات القراء السبعة،الذهبي،ص:(.

[16] (يُنظر: المصدر نفسه،الصفحة نفسها.)

[17] (مفتاح العلوم، السكاكي،ص:38.)

[18] (يُنظر: الفهرست،ص:72.)

تصدق هذه الملاحظة من بعض التصانيف لعلماء مشهورين في العلوم اللغوية وغيرها من تفسير، وحديث، وفقه، وغيرها، نذكر منها:

- معاني القرآن للفراء: الذي عالج فيه صاحبه الآيات القرآنية التي رأى فيها مشكلة بعينها ويتنوع تناوله لها ومناقشته لها، فتارة يتناولها من حيث اللغة نحوا، أو صرفا، أو شاهدا على استعمال ما، وتارة أخرى يتكلم فيها على أسباب النزول، والأحكام الشرعية، ومظاهر الإعجاز، وأكثر من النقل عن المفسرين كابن عباس، ومجاهد، وغيرهما، كما نقل عن أساتذته اللغويين، وخاصة الكوفيين منهم باعتبار أنَّه من أبرز الأئمة الكوفيين، وأبرز من نقل عنه من البصريين يونس بن حبيب .[19]

- مجاز القرآن لأبي عبيدة: فقد تداخلت فيه موضوعات اللغة، والنحو، والصرف بموضوعات التفسير والحديث، إلا أنَّ الطغيان الأكبر في هذا الكتاب كان للموضوعات اللغوية على حساب غيرها، هذا بالمقارنة بكتاب معاني القرآن للفراء الذي أسلفنا الحديث عنه .[20]

- معاني القرآن للأخفش: كذلك تنوعت موضوعاته من قراءات، ولغة، ونحو، وصرف بين بعض قواعده، ومن علم تفسير يستخدم فيه تأويلا ما وغير ذلك .[21]

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: وإن كان هذا الكتاب قد قلت فيه مسائل اللغة إلا ما كان من كلامه عن لغة القرآن وتفسير لغريبه، وشرح بعض المفردات، وبيان لبعض الأساليب التي كثيرا ما يحيل القارئ الباحث عن مثل هذه الموضوعات اللغوية على كتابه تفسير غريب القرآن .

كما تحدث عن قوة بيان العرب واتساعهم في المجاز، ووجوه القرآن، واللحن والاستعارة، والمقلوب، والحذف، والاختصار، والتكرار، والإطناب، والكناية، ومخالفة ظاهر اللفظ للمعنى، واللفظ الواحد للمعاني المتعددة .[22]

- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري: وقد تحدث فيه عن الشعر، والرجز، والنوادر في اللغة العربية، وهي الكلمات قليلة الاستعمال أو الشاذَّة عن القياس ـ في نظره ـ أيضا أشياء كثيرة في فقه اللغة كالأضداد، والمشترك، والترادف، وكان ينبه إلى الفروق اللغوية بين الألفاظ والقوانين الصوتية

---

[19] (يُنظر: معاني القرآن،الفراء،ج01،الصفحات:3،8،30،31،41،125،127،349.)

[20] (يُنظر: مجاز القرآن،أبو عبيدة،ج01،الصفحات:1،7،8،19،68،69،234،وج02،الصفحات:226،237-227،208.)

[21] (يُنظر: معاني القرآن،الأخفش،ص: 22)

[22] (يُنظر: تأويل مشكل القرآن،ص43)

التي لها علاقة بمخارج الحروف، والهمز، والإدغام بالإضافة إلى مسائل كثيرة من النحو مستعينا فيها بآراء الخليل، ومسائل صرفية عروضية وأبرزها الضرورة الشعرية .[23]

مجالس ثعلب: الذي ضمَّنه ثعلب مسائل شتى من الموضوعات اللغوية غير مترابطة وقد تجسدت في كتابه هذا نزعته الكوفية في النحو باعتباره رئيسا من رؤساء مذهبهم، وعالج كثيرا من مسائل الصرف، ونمها ما خالف فيه الكوفيين أنفسهم، وأورد عددا من المشترك والإتباع، والأضداد، والتذكير والتأنيث.[24]

من أعمال الخليل بن أحمد اهتمامه بالرواية، والمشافهة للأعراب، ودراسة اللغة متمثلة في معجم العين، وعنايته بالنحو الذي كانت آراؤه فيه طاغية على تلميذه سيبويه، وله فضل السبق في ابتكار علم العروض، وله في مسائل الصرف آراء كثيرة ذكرها سيبويه في كتابه لا تخفى على القارئ .[25]

يونس بن حبيب (ت182هـ) الذي كان مشهورا باللغة وبالغريب، وبالنحو، وله آراء وأقيسة خاصة به ومذاهب متفردة مخالف للبصريين والكوفيين .[26]

سيبويه (ت180هـ) إلا أنَّه شهرته في النحو أكثر من اشتهاره باللغة، والغريب والرواية، والشعر، والقراءة، وقد اشتمل كتابه على خليط من موضوعات النحو، واللغة والصرف، والنحو، والصوت، وفقه اللغة، والعروض، وغير ذلك من المسائل .[27]

ها هو السكاكي (ت626هـ) ينبه إلى حقيقة احتياج علوم اللغة بعضها إلى بعض وتوقف أحدها على الآخر في كتاب ملأت شهرته الآفاق، فقد حوى علوم الأدب من صرف ونحو، ومعانٍ، وبيان، وبديع، ومنطق، وعروض، فيقول: " وقد ضمَّنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة، ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصرف بتمامه، وأنَّه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة، وقد كشفت عنها القناع، وأوردت علم النحو بتمامه بعلمي المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق من الله منها الوطر، ولمَّا كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أُرِدْ بُدًّا من التسمح

---

[23] (يُنظر: النوادر في اللغة،أبو زيد الأنصاري،الصفحات: 169،135،100،11،5،4،2،)

[24] (يُنظر: مجالس ثعلب،ج01،ص:10،وج02،ص:660،407،وج03،ص:330،وج04،ص:462).

[25] (الدراسات اللغوية عند العرب،ص:81).

[26] (يُنظر: أخبار النحويين البصريين،ص:33،ونزهة الألبَّاء،ص:39،وبغية الوعاة،ص:426).

[27] (يُنظر:الكتاب، سيبويه، ج01، ص:329، والخصائص، ج02، ص:61، وج03،ص:71، والمنصف،ج02،ص:85، والمغني، ص:773،82.)

بهما وحين كان التدرب على المعاني والبيان موقوفا على ممارسة النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي تَنَيْثُ عَنَانَ القلم غلى إيرادهما ".[28]

أول ما استقلت العلوم بعضها عن بعض وانفصلت موضوعاتها في علم اللغة والمعجم ومن باكورات التأليف المستقل في ذلك: غريب القرآن لابن عباس(ت68هـ), واللغات في القرآن لابن عباس أيضا، وكتاب اللغات ليونس بن حبيب (ت189هـ)، والعين للخليل (ت175هـ)[29].

يأتي بعدها استقلال النحو وموضوعاته متجليا ذلك في كتابي " الجامع " و" الإكمال "لعيسى بن عمرو، وبعدها كتاب سيبويه الكبير الذي سُمِّي قرآن النحو، ثم الصرف، وأول ما كتب فيه أبو جعفر الرؤاسي (ت187هـ) في كتابه " التصغير "، وتلميذه أبو الحسن الأحمر في كتابه "التصريف "، ثم تبعهما المازني فالق كتاب التصريف المشهور، وابرز من شرحه ابن جني في كتابه "المنصف"، ثم علم الأصوات، وكان أول مؤلف مستقل عند العرب لم يظهر إلا على يد ابن جني في القرن الرابع الهجري[30]؛ هذا، ومن أبرز العلوم اللغوية علمان لغويات متداخلان فيما بينهما، والمؤثر بعضهما في بعض، والمحتاج أحدهما إلى الآخر احتياج الفرع إلى الأصل، والنظري إلى التطبيق علما النحو وأصول النحو اللذان ظهرا منذ ظهور التفكير النحوي عموما الذي كان الباعث عليه تفشي ظاهرة اللحن في الألسنة العربية، حيث بدا العقل العربي يسجل الظواهر اللغوية ويرصد قوانينها ثم يحكم من خلالها على الكلمة، أو التركيب بحركة ما، أو بناء معين أو إعراب ما،أو تقديم أو تأخير، أو غير ذلك من أحكام الصرف على الكلمة المفردة أو أحكام الإعراب على التركيب والجملة، بعد أن كان العربي الفصيح لا يعرف هذه اللغة التي يتكلم بها إلا أنَّها وسيلة لتأدية أغراضه، وأداء مهمة التواصل والتفاهم ليس إلا، لا يتقصد إعرابا، ولا يتعهد صوابا، ولا يعرف اللحن إلى لسانه سبيلا حتى قال قائلهم حين ابتلي بالنحو النحاة:

وَلَسْتُ بِنَحْوِيٍّ يَلُوكُ لِسَانَهُ وَلَكِنْ سَلِيقِيٌّ أَقُولُ فَأُعْرِبُ

هذا عن التأثير أو التأثر في العلوم اللغوية فيما بينها فقط أو فيما بينها وبين غيرها من العلوم التي تباينها، كعلوم الدين من فقه، وتفسير، وقراءات، وغيرها .

أمَّا عن تأثرها أو تأثيرها في غيرها من العلوم الأجنبية أو الأعجمية ـ إن صح التعبير ـ فهي قضية تستحق الانتباه، ويجب على كل كاتب عربي أن يستوضحها ليحق الحق ويبطل الباطل حسب المعايير

---

[28] (مفتاح العلوم،السكاكي،ص:37.)

[29] (يُنظر: الدراسات اللغوية،ص:83.)

[30] (البحث اللغوي عند العرب،أحمد مختار عمر،ص:346.)

العلمية المتبعة في البحث العلمي غير متعصب لانتمائه، ولا ناقم على أعدائه من غير لغته الذين لا نرى عيبا من أن نفيد من ثقافتهم ودراستهم كما يفيدون من ثقافتنا ودراساتنا، فلم تكن الثقافة والمعرفة مقصورة أبدا على عقل معين ولا على جنس معين من بني البشر مهما كان، لكن هناك شيء يجب أن يذكر ألا وهو الحقيقة الواقعية هل تأثر العرب بغيرهم من الأعاجم أم أثروا فيهم ؟

كثيرا ما وجِّه الطعن غلى أصالة الدراسات العربية بعض المستشرقين ومن أُغْرِي بهم من الباحثين العرب [31] اعتمادا على مزاعم لا تنهض دليلا على ما ادَّعوه لأمور منها:

1- أنَّه يجب أن لا نغفل حينما نجد تشابها ما بين درس لغوي أو غيره بين أمة وأخرى ويجب أن لا نغفل في هذه الحال عن أنَّه لا يعني ذلك وجود تأثر بينهما لمجرد الاعتماد على السابق الذي يُعَدَّ مؤثرا واللاحق الذي يُعَدُّ متأثرا، فالعقل الذي حباه الله الإنسان غير مقصور على سابق ولا لاحق، ولا على جنس دون الآخر، وما توصل إليه هذا العقل في هذه الأمة يتوصل إليه عقل آخر في أمة أخرى، وما يتوصل إليه هذا أنَّ العقل قد يتشابه، أو يتطابق في مضمونه وشكله، ثم لا يعني ذلك أبدًا أنَّ بينهما تأثيرا أو تأثرا .

2- أنَّه قد تكون الدواعي لقيام دراسة لغوية معينة عند أمة ما هي الدواعي نفسها عند دراسة أمة غيرها، أو الظروف التي تهيئ لنشوء دراسة ما هي نفسها بين كثير من الأمم والشعوب فكما تتشابه الدواعي والظروف تتشابه الدراسات .

خير مثال على ذلك وجود النقط أو الإعجام الذي وجد عند العرب وغيرهم لداوعي صيانة الكتاب المقدس عند كل أمة ن فاليونانيون أو السريان وضعوه لصيانة كتابهم " الفيدا "، أمَّا العرب فلصيانة القرآن الكريم عن اللحن الذي وصل إلى تلاوته كما ذكرنا .[32]

5- أنَّ كثيرا من الاتهامات التي وُجِّهت إلى المسلمين بالتأثر بغيرهم قد أثبتت التحقيقات العلمية خطأها، ومنها دعوى أسبقية الهنود في علم الفلك . [33]

الميادين الدراسية التي طعن على العرب بالتأثر فيها بغيرهم من الأمم هي علم الأصوات والعمل المعجمي والنحو.

---

[31] (يُنظر: مناهج البحث في اللغة،تمام حسان،ص:14 وما بعدها،والبحث اللغوي عند العرب،ص:344 وما بعدها ز)

[32] (يُنظر: الدراسات اللغوية عند العرب،ص:84-85،والبحث اللغوي عند العرب،ص:341.)

[33] (البحث اللغوي عند العرب،ص:341-342.)

1. **علم الأصوات:** فقد اتُّهِم الخليل واللغويون من بعده في دراستهم للحروف وأصواتها ومخارجها، وعمق بعضها في الحلق، وغيره من مواضع النطق، اتُّهِموا في ترتيب مخارجها بأنَّهم تأثروا بالهنود تأثرا مقصورا على الترتيب الصوتي للحروف، بدءًا بأعمقها مخرجا في الحلق، وكذلك في الاشتقاق الكبير الذي يعني اتحاد الألفاظ في صوتين اثنين واختلافهما في الصوت الثالث، واعتبار أنَّ أصل الكلمات كانت ذات أصل ثنائي عند الهنود .

غير أنَّ الخليل وغيره لم يطَّلع على ما أنجزه الهنود في دراساتهم للحروف، فلم يثبت تاريخيا أنَّه اطَّلع على الهندية، ولا عرف من دراستها شيئا حسبما وصل إلى الباحثين ؛ لأنَّ دراسة الخليل تختلف اختلافا كبيرا عن دراسة الهنود في هذا المجال، لا سِيَّما في الجانب التطبيقي لنتائج الدراسة المبنية تمازج الأصوات وتجاورها، وكذلك يختلف ترتيب الخليل للحروف عن ترتيب الهنود، ممَّا يدل على أنَّ الدراسة العربية الخليلية في هذا المجال كانت مستقلة، وأنَّ اللغويين العرب بعد الخليل قد خالفوا الخليل نفسه في ترتيبه للحروف وأبرزهم سيبويه، كما خالفهما ابن جني، وكل هذا يبيِّن أنَّ المسألة كانت محض اجتهاد عند العرب أنفسهم .[34]

2. **العمل المعجمي:** ابتدع العرب في دراستهم للمفردات العربية ودلالاتها، وصنَّفوا في ذلك مصنفات هائلة وشاملة تدل على عبقرية فذة، فألَّفوا في الأضداد، والمترادف، والمشترك والمعاجم، وكل ما أُلِّف من بعده فهو عيال عليه، إلا أنَّ هناك من اتهمه بأنَّه تأثر بالهنود وآخر اتهمه بأنَّه تأثر باليونان أو بالعبرانيين .

إلا أنَّ هذه المتهم أو ذاك نسي أو تناسى أنَّ العمل المعجمي عند الهنود ـ مثلا ـ تأخر ظهوره عن ظهور المعجمات العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين .

هذا هو المستشرق " هايوود " يقر بأنَّ العرب كانوا سبَّاقين في مجال المعاجم سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب، فالمعجم العربي منذ نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة .[35]

---

[34] (يُنظر: الدراسات اللغوية عند العرب،ص:86-87.)

[35] (البحث اللغوي عند العرب،ص:342-343.)

من الباحثين العرب القائلين بوجود هذا التأثر المزعوم من وجد في كلامه ما ناقض نفسه بقوله: " ليس هناك احتمال بوجود تأثير هندي على فن المعاجم العربية، بل العكس هو الاحتمال القائم ... وليست أسبقية العرب في مجال المعاجم مقررة بالنسبة للهنود وحدهم بل بالنسبة للعالم أجمعه ".[36]

هناك شيء آخر هو أنَّه كثير من المنكرين على الخليل كتابه " العين " على الرغم من إنكارهم عليه هذا الكتاب إلا أنَّه لم يزعموا ـ ولا أحد منهم ـ أنَّ الخليل أخذه عن مثال سابق لأمة من الأمم، ولو حصل هذا الزعم لكان في طليعته ما يطعن به على ذلك الكتاب خصوم حين وروده على علماء البصرة، ثم إنَّ الخليل لم يكن يعرف اليونانية، ولا الهندية ولا غيرها من اللغات، ولم يذكر أنَّه كان يتقن واحدة منها .

3. **النحو**: أمَّا في مجال النحو فقد وجهت الاتهامات إلى النحو العربي بأنه تأثر بالنحو الهندي في:

1- تقسيم الكلمة إلى اسم، وفعل، وحرف (القسمة الثلاثية المعروفة) .

2- التمييز بين الحروف الأصلية التي تمثل جذر الكلمة وبين الحروف الزائدة .

5- الاهتداء إلى نوع من الأسماء تجمع خصائص الاسم والفعل، وتسميته باسم الفعل .

8- الاختلاف حول الحرف وحول المعنى الذي تحمله، هل هو في ذاتها أم في غيرها ؟ [37]

كما وجهت الاتهامات بأنَّه تأثر بالمنظور اليوناني من جانبين اثنين:

أولهما: جانب المقولات وتطبيقها في الفكر النحوي العام .

ثانيهما: الأقيسة والتعليلات في المسائل النحوية الخاصَّة مع ما يساير ذلك من محاكاة التقسيمات اللغوية التي جاء بها أرسطو في دراسته .[38]

هناك من اتهم النحو العربي بالتأثر بالنحو الفارسي على يد ابن المقفع وبالنحو اليوناني على يد ابن المقفع وحنين بن إسحاق وابنه إسحاق بن حنين، ومنهم من اتهمه بالتأثر بالنحو السرياني على يد يعقوب الرهاوي، إلى غير ذلك من الاتهامات التي سرعان ما تبطل عند مواجه الحقائق العلمية والتاريخية، ومن أبرز هذه الحقائق أنَّ صداقة ابن المقفع للخليل لم تثبت ولم تتضح حتى إنَّ ترجمة ابن المقفع لمنطق أرسطو لم يثبت، بل الذي ثبت أنَّ الذي ترجمه هو محمد بن عبد الله بن المقفع، وليس ابن المقفع نفسه، وكان محمد بن عبد الله قام بهذا العمل بعد وفاة الخليل أصلا [39].

---

[36] (المرجع نفسه،ص:343.)

[37] (البحث اللغوي عند العرب،ص:346-347.)

[38] (مناهج البحث في اللغة،ص:17-18.)

[39] (الدراسات اللغوية عند العرب،ص:91-92.)

منها أيضا أنَّ صحبة حنين بن إسحاق للخيل لم تثبت كما كشف عنها البحث العلمي ذلك أنَّ حنين بن إسحاق هذا لم يولد إلا بعد وفاة الخليل نحو تسعة عشر عاما، فوفاة الخليل (ت175هـ) كانت سنة خمس وسبعين ومائة للهجرة، وحنين ولد سنة أربع وتسعين للهجرة (194هـ).

أمَّا إذا عكسنا الدعاوى وهذه الاتهامات وقلنا بإنَّ العرب هم الذين أثروا في غيرهم وفي الدراسات الأجنبية لوجدنا مما يعضدها الشيء الكثير ولا طمأننا إلى أصالة دراساتنا العربية واستقلاليتها .

في مجال العلم نجد تأثر الأتراك بالعرب في ترجمة الصحاح ووضع بعض معاجمهم على منهج ديوان الأدب للفارابي، وتأثر الفرس والأتراك بالكتابة العربية وحروفها الهجائية كما تأثر هؤلاء ومعهم السريان بالعروض العربي، وموسيقى الشعر، ونظام القوافي العربية

نجد أيضا تأثر النحو السرياني والعبري بالنحو العربي، وكذلك تأثر النحاة الأقباط به وبمنهجه في أصوله وفروعه، وسيطرته على مؤلفاتهم . [40]

الخاتمة:

يتبيَّن لنا من خلال معالجتنا قضايا هذا البحث أنَّ:

للعلوم اللغوية دورا أساسا فيما بينها ممَّا ينتمي إلى مجالها، وذلك كما بين الصوت الذي يمثِّل جانب الأداء اللغوي، وبين الصرف الذي يُمثِّل الجانب البِنَوِي، وبين النحو الذي يُمثِّل الجانب التركيبي، وبين البلاغة التي تمثِّل الجانب الدلالي الجمالي، وبين اللغة التي تمثِّل الجانب المعجمي.

تتداخل هذه العلوم مجتمعة هي وغيرها من علوم الشرع، كالتفسير، والحديث النبوي والفقه بأحكامه المختلفة، لا سِيَّما في المعاملات، حيث إنَّ كثيرا منها يتوقَّف على الجانب اللغوي، والعكس أيضا حاصل، فإنَّ كثيرا من مسائل اللغة وتعليلاتها تُفَسَّر بالجانب الفقهي.

مجال العلمين؛ اللغوي والشرعي، متداخلان متكاملان في كثير من المسائل بينهما ويجب أن تحضر هذه الفكرة في ذهن كل باحث، لغويا كان أو شرعياً.

النتائج والتوصيات

1- النتائج:

من الاستنتاجات التي توصَّل إليها المقال:

- مجيء الإسلام سبب لنشأة العلوم عند العرب، حيث إنَّ الاهتمام بالحلال والحرام فرض

[40])المرجع السابق، ص:95-96.)

نشأة الفقه ووضع أحكام له.

- ظهور اللحن كان سببا في نشأة العلوم اللغوية والتفكير النحوي عموما، حيث إنَّ العرب خافوا على لغتهم من الضياع ومن مخالطة الأعاجم فوضعوا النحو.
- تداخل العلوم يُنظر إليه من ناحيتين:

الأولى: العلوم المتباينة، كاللغة والفقه.

الثانية: العلوم المشتركة، كالنحو والصرف.

- أنَّ العلوم كتلة واحدة وكلٌّ متكامل في أول أمرها، وعند معالجتها وتحليلها يجب أن لا تغيب هذه الفكرة عن أذهان الباحثين.
- التداخل والتكامل يحدث بين العلوم المتوافقة والمتباينة .
- عدم اهتمام العلماء في نشأة العلوم بالفصل بينها بقدر اهتمامهم بمعالجة قضاياها فالاهتمام يغيب في جانب المضامين لا في جانب الشكل والمنهج .
- أنَّ الجانب الإيديولوجي من الدين له أثر في نشأة العلوم والتفكير فيها، لذلك يلزم الاهتمام بكل ما ينتج عنه أثر إيجابي، كالدين والعادات.
- أنَّ تأثُّر العلوم بغيرها من علوم العجم ليست حقيقة مسلَّمة، ويجب أن تكون فيها الموضوعية العلمية دون اتِّهام ولا جحود.

2- **التوصيات .**

- أن يكتب في مثل هذه الموضوعات لمعرفة منها الأصالة والتجديد .

قائمة المصادر والمراجع

I. المصادر:

1) القرآن الكريم برواية ورش.
2) ابن النديم، الفهرست، ط: المطبعة الرحمانية،القاهرة –مصر،وط: فلوجل، وط: دانشكاه،طهران – إيران،تح: رضا تجدد 1971م.
3) ابن جني (أبو الفتح عثمان)،الخصائص، تح: محمد علي النجار،دار الكتب المصرية،القاهرة مصر، دط، 1952م، ج02.
4) ابن جني، المنصف، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، وزارة المعارف العمومية، القاهرة مصر، ط1 ، 1373هـ،1954م،ج02.

5) ابن هشام الأنصاري،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر،دمشق – سورية، ط1 ، 1427ه،2007م.
6) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان ط1 ، 1420ه،2000.
7) أحمد مختار عمر،البحث اللغوي عند العرب (مع دراسة لقضية التأثر والتأثير)، مطابع سجل العرب،القاهرة – مصر 1971م.
8) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مطبعة جامعة دمشق- سورية ، ط3 ، 1383م،1964م.
9) سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت – لبنان ط1،دت،ج01.

II. المراجع:

10) ابن قتيبة الدينوري، في تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة – مصر،1954م.
11) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألبَّاء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي،مكتبة الأندلس،بغداد – العراق ط2 ، 1970م.
12) أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، معاني القرآن، تح: عبد الامير محمد أمين الورد،دار عالم الكتب،بيروت لبنان، ط1 ، 1405ه،1985م.
13) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب،تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف،القاهرة – مصر دط،1984م،ج01.
14) أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،القاهرة – مصر، دط، 1384ه ،1964م.
15) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،القاهرة – مصر دط،1955م.
16) أبو زيد الأنصاري، النوادر في اللغة، تح: سعيد الخوري الشرتوني،بيروت – لبنان،1967م.
17) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد عبد المعنم خفاجي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،القاهرة – مصر، ط1، 1374ه،1955م
18) أبو طاهر المقرئ،أخبار النحويين، تح: محمد إبراهيم البنا،دار ابن حزم،بيروت – لبنان، ط1 ، 1427ه،2006م.
19) تمام حسان،مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة – مصر، دط، 1990م.
20) شوقي ضيف،المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط7 ، 1968م.

21)محمد حسين آل ياسين،الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مكتبة الحياة، بيروت – لبنان،ط1 1400هـ،1980م.

22)معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة مجاز القرآن،تح: محمد فؤاد سركين،مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر،دط 1374هـ،1954م،ج01.